

ولاية أو منطقة حدياب

فؤاد يوسف قزانجي

في أواخر القرن الاول قبل الميلاد، نشأت في شمال شرقي العراق وفي منطقة حدياب Hydiab والتي دعاها الرومان بعد ذلك اديابينة Adiabenne، ولاية تابعة للامبراطورية الفرثية التي كانت قد استولت على بلدان عدة من بينها العراق القديم. يتألف سكانها من بقايا الأراميين، الذين هاجروا وسكنوا بلاد الرافدين منذ القرن العاشر قبل الميلاد، وكذلك من الاشوريين واليهود. وعلى الأرجح بقيت اللغة الارامية فيها الى جانب لغات اخرى محلية. ويذكر ان منطقة حدياب كانت تسمى ايضا آشور. استولى عليها الرومان ثلاثة مرات اخرى: تراجان 115-116، وهادريان 117-138، و سبتيموس سيفيريوس 193-211 ويرجح انها سقطت عام 200 م عندما تم اغراق حاكمها او ملكها الاخير في الزاب الاعلى المدعو نرساي لانه لم يشترك في الحرب مع الفرثيين ضد الرومان. تقع ولاية حدياب شمالا الى ابعد من الزاب الاعلى وجنوبا حتى الزاب الاسفل اما غربا فتمتد الى نهر دجلة وبضمنها مدينة نينوى التي اعاد بنائها الاسكندر الكبير.

اما الموسوعة البريطانية فتذكرها بايجاز شديد قائلة: "اديابينة مملكة صغيرة، كانت تابعة للامبراطورية الفرثية (247 ق.م - 224م) في شمال العراق القديم. عاصمتها اربيل او اربا- ايلو حديثا (اربيل). في القرن الاول للميلاد اعتنق احد ملوكها اليهودية، وكانت امه يهودية ولها ابنان هما مونوبازوس الثاني وازاتس الثاني دفنا في بيت المقدس. كانت هذه المملكة تهاجم دائما من قبل الرومان." وهذا بحسب ما ذكره المؤرخ فلافيوس جوزيفوس، لكن معظم الباحثين لا يؤيدون هذه الرواية ومنهم نولدكة وجان فييه وغيرهما، لاسباب منها انها الرواية الوحيدة التي بنيت على وجود ناووس صغير مكتوب عليه الملكة هيلين، في حين ورد نص

مكتوب على شاهد قبري في الرها باسم الملكة شادان ملكة اديابينة. كما ورد اسم ملك او امير في حدياب باسم ايزات. وباقي السلالة لاتستند على نص اكيد. كما ذكر فيه انه كانت هنالك ملكة في حدياب في القرن الاول اسمها(نور- شيركاني).

اما الموسوعة الايرانية باللغة الانكليزية : Ency. Iranica (Adiabene by G. Lekider فتقول "ان ولاية اديابينة تقع حاليا في حدود العراق وايران وتركية وتصل الى نسيبيس او نصيبين، و كانت تمتد شرقا الى بحيرة اورميا. وصارت هذه المنطقة منذ العصر اليوناني- الرافديني او السلوقي ولاية يحكمها (ساترابي)¹، اي حاكما خاصا بها، وكذلك في العصر الفرثي-الرافديني، حيث اعطيت لكل ولايات صلاحيات واسعة. وسمحو لحاكم الولاية (ساتراب) ان يسمي نفسه ملكا. كانت ولاية حدياب من اكبر واهم الولايات الفرثية، اذ كانت تمتد غربا الى مدينة نينوى التي عمرها اليونانيون كما عمروا بابل، وكانت تسمى ايضا ولاية اشور. ونظرا للعلاقات التجارية الكثيرة بين مملكة ميشان الارامية وولاية حدياب، قدم ملك ميشان ابنته (ساماخا) الى الملك ايزاتس حاكم ولاية حدياب، وتحول ايزاتس بعد ذلك الى الديانة اليهودية، خلال زيارة له الى ميشان اوخاراكس، ثم تحولت امه الى اليهودية ايضا. في عام 114م غزا الامبراطور تراجان ولاية حدياب، بعد هزيمة حاكمها (مبيارسابس) ثم اجتاح الجيش الروماني عاصمتهم الجديدة كتيسفون، واستولى عليها وعلى معظم ارضي العراق القديم، في عام 117م انسحب الرومان من اراضي العراق القديم. في تلك الفترة كانت قد بدأت الديانة المسيحية بالانتشار في الرها ثم في حدياب بمساعي من القديسين اداي وثاديوس. وقد انتشرت المسيحية اولا في اوساط اليهود اولا في بلدي حزرا واربيلا. استولى على حدياب الرومان مرة ثالثة في عام 195، وكذلك في عام 215 بقيادة سيفيروس، وصار من القابه (اديابينكوس) وفي ذلك الوقت كانت حدياب تزدهر

¹ بهجة قد أي الوالي.... التحرير

بها وبنصيبين المسيحية. وكان من ابناء حدياب تاتيان الاشوري، الذي ولد في حدياب ودرس في روما، وعاد في عام 172، فجمع الاناجيل الاربعة في كتاب واحد سمي بالدياتسرون اي الممتزج. في عام 224 قام قبائل ايرانية اخرى بالاستيلاء على بلاد الرافدين، وبذلك حل العصر الساساني- المسيحي في العراق القديم.

وجدت هذه المملكة الصغيرة نفسها بعد حين بين القوتين المتصارعتين الفرثية و الرومانية، لذلك اختارت سياسة وسطاً بين تلك الدولتين. و كانت الهتها رافدينية بعيدة عن الزرادشتية والوثنية الرومانية كذلك. يذكر الباحث ديرنكر ان اول اثر للخط الارامي يعود الى فترة ما قبل الميلاد، قد عثر عليه في انقاض دير مار يعقوب في جبل الرها في نقش يعود الى الملكة (شادان) ملكة حدياب وهو على الارجح كتابة قيرية، فلعلها كانت مملكتها في علاقة جيدة مع مملكة اورهوي الارامية Orhoe التي كانت عاصمتها (الرها) ثم انها توفيت هناك.

ازدهرت مملكة حدياب كما ذكرت الموسوعة الايرانية في زمن الملك (مونوبازوس الأول). و قامت صلات وثيقة بين هذه المملكة و بين مملكة حاطرا و مملكة ميشان، مما ساعد على تنشيط التجارة و تبادل القوافل التي كانت تصل الى ارببلا وغيرها ناقلة من مدينة خراسين عاصمة ميشان بضائع هندية مثل الأقمشة والتوابل والعطور اضافة الى اللؤلؤ الذي كان يستخرج من الخليج. و قد ارسل الملك (مونوبازوس) ابنه الامير ايزات (الأول) الى مملكة ميشان مع مجموعة من الهدايا الثمينة، و طلب منه المكوث للتفاهم مع رؤساء القوافل التي كانت محطتها الرئيسية مدينة فرات ميشان. وقد وصلت حدياب الى اوج توسعها في عهد الملك ايزات الثاني (30 – 36م) حيث كانت مملكته تنعم بالاستقرار مع بعض المخاطر عندما قبل الملك ايزات لجوء الملك الفرثي ارتبان (ارتبانوس) الثالث (11 – 38م) الى ارببلا على اثر ثورة قامت ضده في قطيسفون عاصمة الدولة الفارسية. وقد

عامله الملك ايزات معاملة طيبة كما امده بعد حين بقوة مقاتلة استطاع بمساعدتها القضاء على الثورة واستعادة عرشه. و بعد استقرار الأوضاع في قطيسفون واكتمال النصر دعا الملك الفرثي الملك الرافديني الى عاصمته قطيسفون و منحه مقاطعة نصيبين كهدية له مقابل مساعدته، فضلاً عن اقتطاعه جزءاً من جنوب ارمينيا تعبيراً عن امتنان ورداً للجميل، فألحقها الملك ايزات بمملكته.

ان أسم اديابين مأخوذ من الأسم الاكدي لنهر الزاب الذي سمي ادياب adiab تبني اسمها الاراميون ابان الحكم البارثي واسموها اسما مقاربا هو حدياب، وكذلك اسماها المشرقيون المسيحيون الذين اتخذوا من السريانية لغة لهم.

استولى عليها القائد الروماني تراجانوس عام 115م، ومرة اخرى في زمن الامبراطور كركلا في عام 217، ثم فتحها بعد حين ديكرانوس او ديكران من ملوك الأرمن. وسمى الرومان الزاب الاعلى هيكوس وكان اهم مدن مملكة اديابين هي اربيللا وسورا وحزا وينزيب وكوكا ميلا (كرمليس) وحديثا قرب دجلة ونيوى^٢.

كان معظم اليهود قد سكنوا في مدينتي سورا وحزا واكثرهم جاؤوا من بابل، وكانوا في الغالب يمارسون البيع والشراء، كما برعوا في التجارة بخاصة مع مملكة ميشان التي كانت تصلها بضائع هندية وخليجية وتدمرية^٣. اعتنق ملكها (ايزات) او ايزاتس اليهودية في عام (40 م) و يرجح انه حكم حتى عام (60 م)^٤. في اواخر القرن الاول اتجه مار ادي احد تلامذة السيد المسيح السبعين مع مار ماري الى بلاد الرافدين كما جاء في كتاب المجدل نحو مدنها العامرة بدءاً بسلوقية

^٢ البستاني، فؤاد. موسوعة البستاني. بيروت. دار المعرفة، (ج 1/ ص 743)

^٣ Ahmed , Sami said " Iraqi – Persian struggle during parth -Sassanian period. Iraq (march 15 , 1986) p . 44 – 45

^٤ عبودي، هنري. معجم الحضارات السامية. طرابلس: جروس برس . 1991 (ص 58).

فالجانب، واخيرا بشر مار ادي في حدياب، اما مار ماري فقد استقر اخيرا في بلدة دير قنى^٥. وبحسب مخطوطة مشيحا زخا فان اول اسقف في اربيل في مملكة حدياب كان في عام 104م وهو مار بقذا، اما أول من رقاها الى مقام المطرانية هو الجاثليق (فافا) وذلك في سنة (300 م). وكانت مدينة حصنا عبرايا (نينوى) ومدينة بانوهذرا (دهوك) اسقفيتين تابعتين لها^٦. ويذكر الفيلسوف ابيفانوس: " ان تاتيان الاثوري افتتح مدرسة في بلاد الرافدين وكان تأثيرها قد وصل الى انطاكيا في سوريا واحس بها الناس في كليزيا"^٧. و منذ القرن الرابع اسموا انفسهم المسيحيون الذين هم من اصول ارامية، بالسريان، واما المسيحيون الذين هم من اصول اشورية فسموا باتباع كنيسة المشرق تميزاً لهم عن الوثنيين^٨.

بعد ان توطد الحكم للإمبراطور الروماني تراجان غادر روما متوجهاً الى ولايته الشرقية التي كانت تشمل معظم هضبة الاناضول وسوريا وفلسطين ووصل انطاكيا عاصمة ولايته الشرقية في مستهل عام 114م ثم شرع بالاعداد الى حملة عسكرية بجيش كبير كان ينوي من خلاله استعادة فتوحات الملك الأسكندر الكبير، فتوجه اولاً الى ارمينيا واخضعها على الرغم من وعورة مسالكها وجعلها ولاية رومانية ثانية وعين لها حاكماً من قاداته. ثم سار جنوباً الى نصيبين وماردين وكانتا تابعتين لمملكة حدياب فأستولى عليهما بسهولة في عام 115 على الرغم من قتال مملكة حاطرا دفاعاً عن نصيبين وماردين في صفوف جيش حدياب كحلفاء. وعاد غرباً الى الدويلة - المدينة اسروينة (اديسا) او الرها، فأضطر ملكها ابجر الثالث الذي يعتقد انه كان من اصول نبطية - ارامية، الى استقباله وتقديم الهدايا له، اتقاءً

^٥ بن سليمان ، ماري . اخبار فطاركة كرسي المشرق عن كتاب المجدل . روما : مكتبة المثنى .

1899 (ص 1 - 3) .

^٦ الموسوعة اليهودية. اديابينة. بقلم ريجارد كوتهيل. باللغة الانكليزية.

^٧ القصاب ، يعقوب . اصل نصارى حدياب . دمشق ، 1988 (ص 123 - 126) .

لجيشه الجرار، وبذلك تمكن من المحافظة على عرشه، وبعد ذلك توجه تراجان الى عاصمته الشرقية انطاكيا.

ويبدو انه سلك في حملته التالية الى مملكة حطرا (الحضر) طريقاً جديداً يخترق مملكة سنكارا singara او سنجار اذ عثر بالقرب من بلدة (كرسي) على حجر طريق مدون عليه اسمه باللاتينية مع اشارة الى حملته. وقبل ان يصل جيشه اليها، اضطر ملك سنكارا نصرور الثالث (115 - 135) ان يرحب به كما فعل الملك أبجر، وان يقدم له الهدايا ما يرضيه، و خصوصاً بعد استيلائه على حليفته مملكة حدياب، وكذلك فعلت حاطرا معترفة به امبراطوراً عليها. سار تراجان بعد ذلك لفتح عاصمة الفرثيين في العراق قطيسفون ففر ملكها الفرثي ولكاش volgash الثاني (106 - 147م) تاركاً وراءه عرشه الذهبي وافراد عائلته، ثم زحف تراجان وهو في عنفوان مجده الى جنوب العراق لأخضاع مملكة ميشان الآرامية واستطاع ان يحطم جيش ملكها (اتمبيلوس الخامس) ووصل الى رأس الخليج حيث اقيم له تمثال في ذكرى انتصاراته المتلاحقة. و لم يدم هذا النصر الخاطف طويلاً، ففي السنة نفسها، اعلنت العصيان كل من مملكة حاطرا والدولة - المدينة الرها، و سمع الأمبراطور تراجان بأخبار العصيان وهو يزور مدينة بابل العظيمة التي قصدها لزيارة الموضع الذي مات فيه الأسكندر الكبير، فجمع جيشه للجب في الحال، و قاد الجيش بنفسه للقضاء على تلك العصيانات، وبدأ بمملكة حاطرا فحاصرها، وكان الوقت صيفاً فلم يحتمله جيشه الروماني، فتخلى عن حصاره وباءت حملته بالفشل مما اضطره ان ينسحب الى انطاكيا حيث توفي في العام التالي (117م).

ويرجح ان حدياب قد استعادت مملكتها وربما مالت الى الرومان في زمن ابجر بن معنو ملك مملكة الرها الآرامية، اذ قامت علاقات بينهما في اواخر القرن الثاني في عهد ملكها نرساي، الذي اغرقه البارثيون في الزاب بسبب تعاطفه مع

الرومان. و بعد حملة تراجان العنيفة ساد العراق واقاليمه استقرارا نسبيا لفترة زادت على قرن من الزمن، حتى مجيء اقوام فارسية اخرى لاحتلال العراق وهم الساسانيون وبقيادة ملكهم اردشير الأول (224 – 241) الذي كان قائداً قوياً وعنيفاً واستطاع بجيشه المتعطش للدماء والغنائم ان يستولى على منطقة حدياب التي يبدو ان مملكتها كانت قد ضعفت ثم حاصر مملكة حاطرا واستطاع ان يفتحها ويستولى عليها وينهب خيراتها وكنوزها بحيث سرعان ما تخربت وهاجر اهله الى انحاء مختلفة من البلاد. ثم سارع الى الجنوب للقضاء على مملكة ميشان فنجح ايضاً بتحطيم جيشها وهكذا زالت الممالك الرافدينية حدياب وحطرا وميشان خلال السنوات 224 – 226م.

وفي الفترة بين الاعوام 117- 224 تأتينا اخبارا تاريخية متضاربة عن مملكة حدياب، فبعضها يشير الى استعادة مملكتها في عام 117، والبعض الاخر يشير الى بقائها حتى احتلالها من قبل الامبراطور كراكلا 211-217، واخبارا ثالثة تشير الى استمرار وجودها حتى الغزو الساساني الى بلاد الرافدين. ويشير الباحث باسم محمد^٨ الى استمرار مملكة حدياب حتى فترة طويلة، مع العلم ان كوتهيل في الموسوعة اليهودية لا يذكر اي ملك بعد عام 216 حينما احتل شمال العراق القائد انطونيوس. ويقدم لنا قائمة لملوك حدياب تمتد الى عام 310، معتمدا على ماكتبه جوزيفوس فلافيوس وعلى النحو التالي:

- ١- ازاتس 1-15م
- ٢- بازبوس مونوبازوس الاول 20-30
- ٣- هيلين ام بازوس 30-58، مع العلم ان الموسوعة اليهودية تقول انها توفيت ودفنت في عام 40 في بيت المقدس.
- ٤- ايزاتس الثاني بن مونو بازوس

^٨ باسم محمد حبيب. حدياب التاريخ والحضارة. 13-7-2010 موقع اسيريان فور اول نت.

٥- فولكاس حوالي 50

٦- مونوبازوس 70-58

٧- حيهاراسبس ؟-116

٨- نرساي الاديبيني 200-170

٩- مجهول 310-200؟

وتشير بعض الكتابات غير المؤكدة ان مملكة حدياب استعادة قوتها وظلت باقية، وان آخر ملك لها كان نرساي (191-208) وان الملك الفرثي هاجمه في عام 208 ودمر بلاده.

لكن الرافدينيين ذوي الارث الحضاري مالبثوا ان اقاموا مملكة جديدة وذلك في نهاية القرن الثالث وهي مملكة الحيرة التي اصبحت في منتصف القرن الرابع دولة عربية- سريانية تحت النفوذ الساساني وكان معظم سكانها من المسيحيين. اما حدياب فأصبحت بعد ذلك مقاطعة او اقليم ضمن كورة استان الزوابي وسماها الفرس (بزيو ماسفان) وطساسيجها هي الزاب الاعلى والزاب الأوسط والزاب الأسفل، وسماها المسيحيون اشور وسميت المنطقة الشمالية الشرقية بيت-كرماي^٩.

وفي سيرة مار ادي الذي يعتقد انه هو الذي بشر بالمسيحية في ارببلا عندما وصلها في اواخر القرن الاول للميلاد. كان مار ادي قد ولد في مدينة سرجيوبوليس (الرصافة) وتعلم في مدرسة انطاكيا اللغة اليونانية والمنطق واللاهوت ثم انتقل الى مدرسة سريانية عليا في احد الادييرة ثم ذهب كراهب ومبشر فحط في الرها ومنها الى نصيبين ثم الى بلاد الرافدين وجال في مدنها مثل كشكر وسافر الى ميشان ثم عاد وبشر في ارببلا فترة من الزمن واخيرا سافر الى

^٩ لسترانج، كي . بلدان الخلافة الإسلامية ترجمة و تحرير بشير فرنسيس و كوركيس عواد .

بغداد : مطبعة الرابطة ، 1954 (ص 150) .

الهند^{١٠}.

كانت منطقة حدياب في عام 410 تضم ستة أبرشيات، مما يؤشر العدد الكبير من المسيحيين فيها، منهم ثلاث أبرشيات هي: بيت نوهذرا وبيت- بغاش وداسن. وكان وراء جبل حدياب، بلدة شيروان التي كانت جزءا من منطقة سالاخ؟ كما كانت على مقربة من بلدة حنيثا. وتشير كتابات يشوع النصيبيني انه كان تسلسله الرابع وان المطران الاخير كان اسمه دانيال الثالث، الذي حضر المجمع الكنسي في ساليق- طيسفون في عام 410.^{١١}

و قد أسس ابراهيم النتقري (اواسط القرن السادس) عدة مدارس في حدياب، وشاد كتاتيب في اماكن كثيرة الراهب دانيال المعروف بالحزين بالإضافة الى حنانا الحديابي و تلاميذه (القرن السادس) والرهبان الذين تبعوا في عهد الجاثليق يشو عياب الارزوني (ت 595) وبرخدیشبا اسقف حلوان وغيرهم ممن حبروا مقالات في تأسيس المدارس في الادييرة ونشروا أساليب ايواء تلاميذها^{١٢}. كما نبغ فيها الفيلسوف والفقيه الاول تاتيان الاشوري (120-180) الذي ترجم الاناجيل الى السريانية كما ذكرنا، وكان ذلك من اهم المنجزات التاريخية للمسيحية المشرقية، حينما قدر للمشرقيين ان يقرأوا الانجيل بانفسهم ويفهموه، وظل هذا الانجيل يتداول حتى نهاية القرن الرابع. وان بريشوع (ت604) الذي ولد في قرية فيروز آباد قرب شهرزور، قد التجأ الى بلدة حزا، وفي تاريخ توما المرجي ان عما مارن مطران حدياب في السنوات (753-772) غادر ابرشيته لزيارة قرية بيت- بدراري.

^{١٠} بيكولفسكايا، نينا. ثقافة السريان في العصور الوسطى. ص66

^{١١} فييه، جان. آشور المسيحية. بغداد، منشورات مجلة الفكر المسيحي، 2011 ص43-45

بيكولفسكايا، نينا. ثقافة السريان في العصور الوسطى. ص66

^{١٢} بابو اسحق، روفانيل، مدارس العراق قبل الاسلام. بغداد: مطبعة شفيق، 1955 (ص 48).